علاقات الأوس والخزرج في عهد الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم

م. بشار عبد الجبار شبيب — كلية التربية / جامعة ديالى
م.م. محمد علي حسين — كلية التربية / جامعة ديالى

المقدمة

أن الحقيقة التي لا شك فيها إن الإسلام منذ انزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم على رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يتوقف توسعه أبدا، على الرغم مما كان يلاقيه الرسول وأصحابه من شتى أنواع المضايقة والاضطهاد في مجتمع رفض رفضا قاطعا التعامل معه أو حتى الاستماع أليه مقرنين رفضهم له بقيامهم بالعديد من الأعمال الدنيئة والأفعال المشينة التي ظنوا أنها السبيل الكفيل في القضاء عليه وعلى دعوته وأصحابه الصابرين. وبدؤا بعد ذلك بتشديد الضغط عليه مستغلين الظروف التي كان يمر بها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حتى تيقن أن الأمر مع مشركي مكة لا ينتهي الا بتركها والبحث عن مواطن أخرى،لذا كان خروجه الى الطائف التي لم تلقى دعوته فيها قبولها ولم يكن عودته إلى مكة ألا مستغلا كل القادمين والوافدين أليها يعرض عليهم نفسه ويدعوهم الى الدين الجديد وكان من بين تلك الوفود القادمين من المدينة والمتمثلين بالأوس والخزرج الذين لم يبعدوا كثيرا عن دعوة الرسول أليهم ، الا وكان القبول بازغا من بينهم مقرنين قبولهم له ولدعوته ببيعتين شكلتا الأساس في تركه لمكة والتوجه إلى المدينة . موطن الدعوة الجديد من اجل إقامة دولته وتنظيم أوضاعها . ولا يفوتنا أن نذكر أن الأنصار(الأوس والخزرج) قد حضي كل منهم بمنزلة رفيعة لدورهم في نصرة الإسلام والمسلمين ووقوفهم الى جانبه من اجل إيصال رسالته الى الناس جميعا فقد خصهم الله سبحانه وتعالى بمنزلة عظيمة واعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار قال تعالى "والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم"[١] وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم انه قال"آية الأيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار"[٢] كما أوصى صلى الله عليه وآله وسلم بالأنصار فقال "أوصيكم بالأنصار فأنهم كرشتي وعيبي، قضي الذي لهم بقي الذي عليهم فأقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم"[٣]

ونحن هنا لا بد أن نذكر أن هذا الموضوع هو اكبر من أن يكتب عنه ولكننا اقتصرنا على وقفات مضيئة من علاقات الأوس والخزرج في عهد الرسول صلى الله عليه واله وسلم التي ورثناها عن تاريخنا الإسلامي والتي ما زالت الأجيال تتناقلها في كل وقت وحين .وكذلك لا بد من أن نشير هنا أننا اعتمدنا على مجموعة من المصادر الموجودة تحت اليد وفي المكتبات على الرغم من قلتها وصعوبة الحصول عليها في الوضع الحالي وقد قسم البحث الى محاور عديدة هي :

أولا : الأوس والخزرج

ثانيا : الأوس والخزرج في عهد الرسول صلى الله عليه واله وسلم
ثالثا : اتصال الأوس والخزرج بالرسول صلى الله عليه واله وسلم
رابعا:الرسول صلى الله عليه واله وسلم في المدينة
خامسا:علاقات الأوس والخزرج في دولة المدينة

أولا : الأوس والخزرج

كانت قبيلتي الأوس والخزرج أهل عزة ومنعة وهما إخوان لأب وأم وهما قبيلتان من الازد[٤] أبناء حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر من الازد[٥] حيث لم يكن لحارثة غير ولدان احدهما اوس والأخر خزرج ،وكانوا يسمون أنفسهم ببني قيلة نسبة الى أمهم قيلة بنت كاهل بن عوزه بن سعد بن هذم من قضاعة[٦]

وتشير المصادر التاريخية التي تتحدث عن قصص الأقوام السابقة ومنها قصة أهل سبأ وانهيار سد مأرب وتفرق القبائل التي كانت تسكن تلك البلاد.وبعد تفرق قبيلة الازد اتجهت كل فرقة منهم الى الجهة التي اختاروها ، والأوس والخزرج هم كبقية القبائل يبحثون عن كل ما يوفر من متطلبات الحياة الضرورية كالماء والكلأ باعتبارهما أساس الحياة والثروة.فاتجه الأوس والخزرج الى يثرب وجعلوها وطنا وبلادا يسكنوها ،ويلاحظ أن اختيارهم هذا ليثرب وتفضيلها على بقية البلدان، إنما جاء لمعرفة سابقة بأحوالها وأوضاعها الزراعية والتجارية ولأهمية موقعها بين الشام واليمن.[٧]

وبعد أن اختارت الأوس والخزرج مدينة يثرب جاؤا أليها وكان يسكن المدينة اليهود الذين كانوا الغالبين عليها والظاهرين بها فنزل عندهم الأوس والخزرج وتفرقوا فيها ،فتحالفوا وتشاركوا معهم حتى أصبح للاوس والخزرج مال وعدد فخشاهم اليهود الذين عملوا على قطع الحلف الذي كان بينهم ، عند ذلك أقامت الأوس والخزرج في منازلهم وهم يخشون أن يسيطر عليهم اليهود الذين بقيت في أيديهم السلطة على يثرب حتى قدوم احد ملوك غسان وقتله قسم من وجوه اليهود بعدها أصبح الأوس والخزرج اعز أهل المدينة فشاركوهم في النخل والدور.[٨]

وعلى الرغم مما قامت به الأوس والخزرج في رسم حكومة خاصة بهم الا أنهم لم يستطيعوا الاستمرار بها فوقعت بينهم العداوة وتطاولت ونشب النزاع بينهما فكثرت الحروب وتعددت الوقائع.

وانعكست أثار هذه الحروب على ما بعد ظهور الإسلام وكانت تثار بين فترة وأخرى من أعداء الإسلام أولا ومن أعداء الأوس والخزرج ثانيا.

ثانيا:الأوس والخزرج في عهد الرسول صلى الله عليه واله وسلم

في مثل تلك الظروف القاسية التي كان يمر بها الأوسيون والخزرجيون كان الخوف يمتلك الطرفين ، كل منهما من الأخر وخوفهما معا من اليهود الذين كانوا يحاولون دائما أذكاء الخلافات بينهم والعمل على تأجيجها بغية إضعافهم [٩]، ثم خوف أهل المدينة جميعا

من الأعداء الخارجيين وهو ما ينشأ عادة من قلة التفاهم أو انعدامه بين الجماعات المتجاورة في مكان محدود، لذلك كانوا دائما يتطلعون الى نشدة الأمان ، فكانوا يبحثون عنه وعن الطريق الذي يؤديهم أليه.

ثالثا : اتصال الأوس والخزرج بالرسول صلى الله عليه واله وسلم

كانت الشدة قد بلغت بالرسول صلى الله عليه واله وسلم مبلغها في مكة بعد موت أبي طالب وأم المؤمنين خديجة رضي الله عنهما مما اضطره الى الخروج الى الطائف يبحث فيها عن الاستجابة التي لم يجدها في مكة ، وفي المدينة كان الصراع بين الأوس والخزرج مستعرا بحروب استمرت ما يقارب قرن من الزمن انتهت بيوم بعاث* الذي وصفته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حيث قالت "كان يوم بعاث يوما قدمه الله لرسوله"[١٠]

أما اليهود فكانوا في انتظارا لسيد المسيح عليه السلام الذي يرون في مذهبهم الديني انه قادم يوما من الأيام لينصرهم على العالمين ، فكانوا يقولون (أن نبيا سيبعث وقد أظل زمانه فسنقتلكم معه)[١١]

وفي الوقت الذي كان فيه الرسول صلى الله عليه واله وسلم يدعوا القبائل الى الله والى الإسلام ويعرض عليهم نفسه ، وما كاد يسمع بقادم يقدم مكة الا وتصدى له عارضا عليه دعوته وما عنده ، وكان من بين الذين عرض عليهم الرسول صلى الله عليه واله وسلم دعوته سويد بن الصامت الذي كان قد جاء الى مكة حاجا أو معتمرا فعرض عليه الرسول صلى الله عليه واله وسلم وتصدى له ودعاه الى الله والى الإسلام ولم يبعد عن الرسول صلى الله عليه واله وسلم عن قوله له أن هذا لقول حسن .[١٢] وكان هذا اللقاء قد تم قبل يوم بعاث الشهير.

وهذه المحاولة من جانب الرسول صلى الله عليه واله وسلم تضع بين أيدينا نقطة البداية في اتصاله بالمدينة والتي توثقت فيما بعد بالوفد الذي قدم الى مكة يلتمس المحالفة والمساعدة من أهلها وكان هذا الوفد هم من الخزرج[١٣] على الرغم أن الرسول صلى الله عليه واله وسلم لم يجد عند رجال هذا الوفد قبولا.

وتوالت الأيام وبعد عام من لقاء واتصال الرسول صلى الله عليه واله وسلم بوفد الخزرج ، اتصل الرسول صلى الله عليه واله وسلم بوفد من الأوس كان قادما الى مكة يلتمس الحلف من قريش على قومهم من الخزرج سمع بهم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فأتاهم فجلس أليهم ودعاهم الله والى الإسلام ، الا أن هذا الوفد أوضح للرسول صلى الله عليه واله وسلم بأنه جاء لغير هذا ولم يكن هناك اتفاقا ثابتا فيما بينهم انتهى بانصراف الرسول صلى الله عليه واله وسلم عنهم وانصرافهم الى المدينة وكانت وقعة بعاث بين الأوس والخزرج[١٤] وتعد هذه الواقعة من أشهر أيام العرب عامة والأوس والخزرج خاصة وحصلت هذه الواقعة قبل ٥ أعوام من البعثة النبوية.[١٥]

رابعا:الرسول صلى الله عليه واله وسلم في المدينة

يتبين من لقاءات الرسول صلى الله عليه واله وسلم بأهل المدينة أنهم اقتنعوا بصدقه فيما ابلغهم به من نبوته ، لذا عملوا الى الدخول في دعوته وتأييده وقد ظهر ذلك بوضوح في بيعتي العقبة الأولى والثانية [١٦] والتي يفهم منها أن الأوس والخزرج بمندوبيهم قد اعترفوا بالرسول صلى الله عليه واله وسلم رئيسا لهم وأكدت بعد خروج أهل المدينة للقائه عندما وصل إليهم،اعترافا منهم بقيادته لهم.

علم الرسول صلى الله عليه واله وسلم ومنذ وصوله المدينة بأن مجتمعها كأي مجتمع فيه الخير والشر وعمل على مداراة الجميع بأسلوب تعايشي سليم ، وهذا نتاج طبيعي في ذلك المجتمع المتعدد الاتجاهات من مسلمين ومنافقين ويهود وتجلى ذلك التنظيم في إصدار الرسول صلى الله عليه واله وسلم لصحيفته[١٧] التي عدت بحق التنظيم المثالي لقيام دولة المدينة لما اشتملت عليه من بنود مهمة تناولت جميع جوانب الحياة في المدينة والتي حددت العلاقة بين المسلمين من ناحية واليهود من ناحية أخرى.

خامسا:علاقات الأوس والخزرج في دولة المدينة

سعى الرسول صلى الله عليه واله وسلم منذ وصوله المدينة على التعامل المحايد في ممارسته دور الحكم وكانت شخصيته المحايدة بين مختلف الأطراف المتنازعة تتيح المجال لاجتماع أهل المدينة تحت قيادتها . وخاصة أن قيادة الرسول صلى الله عليه واله وسلم لا تقوم على أساس الاعتبارات القبلية المفرقة وإنما تستند على رسالة السماح الموحدة لكل من يؤمن بها[١٨]

والذي يهمنا في هذا البحث أبناء الأوس والخزرج (الأنصار) كما سماهم الرسول صلى الله عليه واله وسلم والذي عمل جاهدا على دفن حزازات وأحقاد الماضي القريب الذي كانوا يعيشون فيه ألا أن انعكاسات الحروب بينهما قد استمرت إلى ما بعد ظهور الإسلام.

لقد وجد الرسول صلى الله عليه واله وسلم عند وصوله المدينة ونزوله عند بني عمرو بن عوف من الأوس أن احد أبناء الخزرج وهو اسعد بن زرارة ** قد خاف أن يأتي للسلام عليه لأنه يخشى أن يثأر منه الأوس لأنه كان قد قتل احد أبنائهم في حرب بعاث .فلما علم الرسول صلى الله عليه واله وسلم بالسبب قال :لسعد بن خيثمة ورفاعة ومبشر ابني عبد المنذر ،أجيروه قالوا :أنت يارسول الله فأجره فجوارنا في جوارك ،فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لجبيرة بعضكم ،فقال سعد بن خيثمة :هو في جواري ، فكان اسعد بن زرارة ،يغدوا ويروح إلى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم [١٩] وهذا ما كان عليه الرسول صلى الله عليه واله وسلم حريصا في سياسته لأدارته المدينة في أعطاء النموذج الايجابي وتحويل الأحقاد والإضغان إلى التنافس بينهما ومنها إنهما (كانا يتصاولان مع رسول الله الرسول صلى الله عليه واله وسلم تصاول الفحلين [٢٠]، لا تفعل لاوس شيئا عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ألا قالت الخزرج والله لا تذهبون بهذا فضلا علينا عند رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وفي الإسلام وإذا فعلت الخزرج شيئا قالت الأوس مثل ذلك).

ولما أصابت الأوس كعب بن الاشرف ، قالت الخزرج (والله لا تذهبون بهذا فضلا علينا أبدا) فتذاكروا بينهم رجلا بمثل عداوة كعب بن الاشرف،فذكروا سلام بن أبي الحقيق وهو بخيبر فأستاذ نوا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في قتله فأذن لهم فقتلوه[٢١].

وهكذا أصبح منهم رجالا يتنافسون ويتسابقون إلى الخير فيما يقربهم إلى الله والى رسوله صلى الله عليه واله وسلم وذهب إلى ابعد من ذلك عندما تفاخر الطرفين ،فقد افتخر كل منهما على الآخر ، فقالت الأوس:(منا غسيل الملائكة حنظله بن الراهب ومنا من اهتز له عرش الرحمن سعد بن معاذ ومنا ممن حمته الدير عاصم بن ثابت بن أبي الافلح ومنا كعب ومعاذ بن جبل)[٢٢].

وعلى الرغم مما قامت به الأوس والخزرج بعد دخولهم إلى الإسلام وتفاخرهم وتصاولهم ، لم تمنع من أذكاء بعض من الأحقاد والثارات الموجودة بينهما والتي كانت لليهود اليد الطولى في إظهارها بعض الشئ . ألا أن حكمة وفراسة الرسول صلى الله عليه واله وسلم كانت تحول دون إثارتها بينهم ولا سامح الله لو كانت قد دبت بينهم لأرجعتهم إلى أيامهم الأولى وسجلت لنا العديد من المصادر التاريخية مثل تلك الحوادث ومنها ما حصل بين سادة الحيين الأوس والخزرج ، أسيد بن خضير الأوسي وسعد بن عبادة الخزرجى ، في حادثة الافك*** بسبب عبد الله بن أبي سلول المنافق وما أشاعه من الافك ، فقد انبرى سعد بن عبادة يؤنب أسيد بن خضير ، بما أراد من الاقتصاص من أصحاب الافك أمام رسول الله صلى الله عليه واله وسلم حتى وصل الأمر إلى الاقتتال بعد أثارة الحيين ، وما قام به الرسول صلى الله عليه واله وسلم من إسكاتهم عنه.[٢٣] حتى انزل الله سبحانه وتعالى على نبيه براءتها واصفا ذلك بالكذب أفكا منزها زوجة نبيه صلى الله عليه واله وسلم من كل الشبهات ، قال تعالى "أن الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم .....".[٢٤]

وكان اليهود هم المستغلين لأي حادثة بين الأوس والخزرج والساعين لشق الصف بينهم ، كما فعل ذلك شاس بن قيس اليهودي عندما انشد شعرا كان قد قاله احد الحيين في حربهم ، فقال الحي الآخر ، قد قال شاعرنا في يوم كذا وكذا فقالوا : ترد الحرب جذعاء كما كانت فنادى هؤلاء :يا آل اوس ونادى هؤلاء :يا آل خزرج فاجتمعوا واخذوا السلاح واصطفوا للقتال فجاء النبي صلى الله عليه واله وسلم حتى وقف بين الحيين واخبرهم بنزول الآية الكريمة :"يا أيها الذين امنوا أن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين"[٢٥] ورفع صوته وجعلهم يستمعون أليه فلما فرغ القوا السلاح وعانق بعضهم بعضا وجعلوا يبكون .[٢٦] واستطاع الرسول صلى الله عليه واله وسلم بذلك إن يفشل ما كادت اليهود تنشد أليه في أعادة القتال بين الطرفين.

واتبع الرسول صلى الله عليه واله وسلم مع أعداء الإسلام من المنافقين أيضا سياسة المداراة واللين واحتمل كل ما يصدر عنهم من إيذاء وعاملهم في الظاهر معاملة المسلمين ولم يقتل أحدا من المنافقين ، مداريا بهذا الأنصار لان فيهم الكثير من أبنائهم وآبائهم ، فكان من جراء سياسته هذه ان آمن معظمهم وأعلن توبته.

الهوامش

١-سورة التوبة، الآية (١٠٠).
٢-الطبراني، المعجم الكبير،ج٦،ص.١٥
٣-ابن حجر،فتح الباري،ج٧،ص.١٢١,١٢٢
٤- اليعقوبي،تاريخ،ج٢،ص.٣٧
٥-ابن الأثير،الكامل في التاريخ،ج١،ص.٥١٦
٦-السمهودي ،وفاء ألوفا،ج١،ص.١٧٦

٧-حتي،فيليب،تاريخ العرب،ص.١٥٣
٨-ابن الأثير ،الكامل،ج١،ص.٥١٨
٩-للمزيد من المعلومات ينظر ابن هشام،السيرة،ج٢،ص٣٨.
*يوم بعاث،هو يوم تقاتل فيه الأوس والخزرج في الجاهلية وهو مكان قريب من المدينة ينظر البخاري،صحيح،ج٣،ص.١٣٧٧
١٠- البخاري،صحيح،ج٣،ص١٣٧٧،ص١٣٩٧،ص.١٤٣٠
١١-ابن هشام،السيرة،ج٢،ص.٣٨
١٢- المصدر نفسه،ج٢،ص.٥٣
١٣- المصدر نفسه،ج٢،ص.٥٥
١٤- المصدر نفسه،ج٢،ص.٥٤
١٥-البخاري،صحيح،ج٣،ص١٣٧٧.الطبري،تاريخ،ج٢،ص٨٥.المسعودي،التنبيه والاشراف،ص.٢٠٦
١٦- ابن هشام،السيرة،ج٢،ص٥٦-.٦١
١٧-الملاح،الوسيط،ص١٩٩ وما بعدها.
١٨-المرجع نفسه،ص١٧١.
**اسعد بن زرارة:بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمروا بن الخزرج الأنصاري الخزرجي،أبو امامة اسلم وشهد العقبتين مع الرسول صلى الله عليه واله وسلم ينظر ابن هشام،السيرة،ج٢،ص.٥٦
١٩- الملاح،الوسيط،ص.١٩٢
٢٠-ابن حبان،الثقات،ج١ ص.٢٤٦
٢١-ابن حجر،فتح الباري،ج٧،ص.٣٤٢
٢٢-الذهبي،سير أعلام النبلاء،ج٢،ص٤٨٧.
***للمزيد من المعلومات حول حادثة الافك ينظر البيهقي،شعب الأيمان،ج٥،ص.٣٨٢
٢٣- ابن حجر،فتح الباري،ج١،ص.٤٧٢
٢٤-سورة النور،الآية (١١-٢٠).
٢٥-سورة آل عمران،الآية(١٠٠).
٢٦-القرطبي،تفسير القرطبي،ج٤،ص١٥٢. ابن حجر،فتح الباري،ج١٢،ص٢٦٩

المصادر والمراجع

-القرآن الكريم
١-ابن الأثير،أبي الحسن علي بن محمد الجزري،الكامل في التاريخ،تحقيق أبي الفداء عبدا لله القاضي،ط٢،بيروت،.١٩٩٥
٢-البخاري،أبو عبدا لله محمد بن إسماعيل،صحيح البخاري،تحقيق د.مصطفى ديب،ط٣،دار ابن كثير،بيروت،.١٩٨٧
٣-البيهقي،أبو بكر احمد بن الحسين،شعب الأيمان،تحقيق محمد السعيد بسيوني،دار الكتب العلمية،بيروت،١٤١٠ه.

٤-ابن حبان،أبو حاتم محمد بن حبان بن احمد السبتي،الثقات،تحقيق السيد شرف الدين احمد،دار الفكر،.١٩٧٥
٥-حتي،فيليب،تاريخ العرب،ط٥،دار غندور،بيروت،.١٩٧٤
٦-ابن حجر،أبو الفضل احمد بن علي العسقلاني،فتح الباري شرح صحيح البخاري،دار المعرفة،بيروت،١٣٧٩ه.
٧-الذهبي،شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان،سير أعلام النبلاء،تحقيق شعيب الارنؤوط،ط٩،مؤسسة الرسالة،بيروت،.١٩٩٢
٨-السمهودي،نور الدين علي بن عبدا لله بن احمد،وفاء ألوفا بإخبار دار المصطفى،مطبعة الآداب،مصر،د.ت.
٩-الطبراني،أبو القاسم سليمان بن احمد،المعجم الكبير،تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي،مطبعة الرحمن العربي،(د.م-١٩٧٩).
١٠-الطبري،أبو جعفر محمد بن جرير،تاريخ الرسل والملوك،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،دار المعارف ،مصر،.١٩٦٧
١١-القرطبي،أبو عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر،الجامع لإحكام القرآن،دار الكتاب العربي،القاهرة،.١٩٦٧
١٢-المسعودي،أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ،التنبيه والاشراف،مكتبة خياط،بيروت،.١٩٦٥
١٣-الملاح،هاشم يحيى،الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة،مطبعة جامعة الموصل،.١٩٩١
١٤-ابن هشام،أبي محمد عبد الملك بن هشام ،السيرة النبوية،تحقيق محمد فهمي وخيري سعيد،المكتبة التوفيقية،مصر،.٢٠٠٣
١٥-اليعقوبي،احمد بن أبي يعقوب بن جعفر،تاريخ اليعقوبي،دار صادر،بيروت،١٩٦٠.